

اختلاف الأقوال في نسب الوسواس وذكر أصنافه

إعداد وتهذيب الشيخ محمد الفحام

1_ انقطاع الوسواس؛ بالذكر لأن الشيطان يَحْسُنُ _أي يَسْكُتُ_ عن وسوسته ولا مدخل له إلا بالعقلة عن الذكر.

2_ عدم انقطاع الوسوسة، لكن القلب يُجِبُّ عن التأثر به لاستيعابه بنور الذكر _أي بسبب استغراقه به_ وعلى هذا المعنى يحملون حَسَنَهُ في قوله صلى الله عليه وسلم: (فإذا ذكرَ اللهُ حَسَنًا)

3_ عدم سقوط الوسوسة بالكلية؛ بل تَضَعُفُ وذلك بِحُكْمِ غَلَبَةِ القلب.

4_ انعدام الوسوسة لحظات الذكر؛ وعودها لحظات تركه، فهما يتعاقبان في أزمته متقاربتين والعلة عندهم مُشَاهِدَةُ الوسوسة مع وجود الذكر.

5_ تساوق الوسوسة مع الذكر؛ على القلب دائماً تساوقاً لا يَنْقَطِعُ كَمَنْ يرى بعينه شيئين في حالة واحدة.

والصحيح صحته ما قالوا لكنّها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس.
وإنما الأصناف ثلاثة:

الأول؛ صنف يأتي من جهة التلبس بالحقي عبر ملذات الدنيا والإيهام بطول العمر وأن الصبر عنها ألمه شديد، فإن تذكر العبد عظيم حق الله تعالى عليه، وأن الصبر على النار أشد من الصبر عن الشهوات الدنيوية لأنه إيمان بكتاب الله تعالى، وهذا ما لا يستطيع الشيطان حجبته عنه، فيضعف بقوة إيمان ذلك العبد ثم يحسن ويهرب.

وعليه؛ فإن اتخذ قاعدة للعمل مع كل خاطر نجا من كل وسواس لاسيما وسواس باطن الإثم. الثاني؛ وصنف يأتي من جهة الشهوة وهيجانها، فإن جهل العبد حكم الله فيها أو شك وقع وإن غلب على ظنه ربما وقع إلا أن يُجاهد نفسه، وإن أيقن نجا وحسن شيطانه. لذا لا نجا

بلا يقين ولا يقين بلا إيمان، ولا إيمان بلا فرار إلى الله تعالى، ولا وصول إلى ذلك كله إلا بعلم بالكتاب.

ثالثاً؛ وصنف بوسوسة الخواطر يتعاقب عليه الذكر مع الوسوسة كأنهما موضعان في القلب حتى ربما يشتمل فهم معنى القراءة على تلك الخواطر أيضاً، وهذا الخنس لا يندفع بالكليّة إلا عند من استولى عليه الحب الخالص بحيث لا يحظر على باله إلا محبوه الحق بحيث لو كلمه غيره مع شهوده محبوبه لا يسمعه، ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأن لا يراه، فإذا تصوّر هذا مثلاً في الخوف من عدو، أو شدة الحرص على شيء، فكيف لا يتصوّر في الخوف من النار أو الحرص على الجنان، لكن ذلك مرهون بتحقيقه بقوة الإيمان وعدمه بعده.

خاتمة مهمة؛ والخلاصة أن الخلاص من وسوس الشيطان على الإطلاق بعيد جداً وأما إبعاده مع تعيير الأحوال وارد عبر المنهج المذكور. وهو في الأصل منهج نبوي خرج به أهل النظر في أحاديث الأقوال والأفعال النبوية فقد ابتلي به رسول الله صلى الله عليه وسلم للوصول إلى ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم، من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم - كما في البخاري ومسلم - نظر إلى علم ثوب لبيسه - وهو في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال: (شغلني عن الصلاة) وقال: (اذهبوا به إلى أبي جهنم واتوني بأنبيائته) - أي بكسائه - ، ورمى بخاتم كان في يده، ثم قال - كما سنن النسائي -: (نظرة إليه ونظرة إليكم)، وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتخريك لذة النظر إليهما - الثوب والخاتم - وذلك تعليم من النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن انقطاع وسوسة عروض الدنيا لا يتأتى إلا بالرؤي والمفارقة، فما دام يملك ما زاد عن حاجته منها وهو مشغول به وبشهوة إظهاره مباحاة، وما دام متعلق القلب حرصاً فلا مطمع للتغلب على الوسواس بحال ذلك أن التخلّص من الشيطان مع العيش في دائرة بضاعته من حطام الدنيا محال.

قال حكيم: يأتي الشيطان ابن آدم من قبل المعاصي، فإن امتنع أتاه بالنصيحة ليُلقيَه في البدعة، فإن أبي أمره بالتحرّج والشدة ليحرّم ما ليس بحرام، فإن أبي شككته في وضوئه وصلاته حتى يُخرجه عن العلم، فإن أبي خفف عليه أعمال البرّ لتميّل إليه قلوب الناظرين فيعجب بنفسه وبه يهلّكه، وعند ذلك يشتد الحاحه، فإنها آخر درجة ويعلم الشيطان أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة.